Journal Of the Iraqia University (74-7) November (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مــواضع جواز وعدم جواز الاستعانة حكام الدولة الاسلامية من الكفار وادلتها دراسة قرآنية تحليلية

الاستاذ المشرف: الدكتور احمد الازرقي

مصطفى مجيد ابوعلي

جامعة المصطفي العالمية كلية العلوم المعارف

تعد مسألة استعانة حكام الدول الإسلامية بغير المسلمين من القضايا الفقهية المعاصرة التي تثار حولها آراء ووجهات نظر متباينة، تنطلق من تفسير الآيات القرآنية ومواقف النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وبعض الأحكام الشرعية المتعلقة. تشير النصوص في القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق العدل والتعامل بالبر والقسط مع غير المسلمين، كالقول تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ**﴾ (سورة الممتحنة: ٨). هذه الآية تفتح الباب أمام إمكانية التعاون مع غير المسلمين في الظروف التي تعزز مصالح الأمة الإسلامية دون انتهاك مبادئهامع ذلك، فإن الفقهاء الذين يعارضون الاستعانة بالكفار يستندون إلى ضرورة تحقيق الولاء والبراء، مستشهدين بالآيات التي تحث الحاكم المسلم على الولاء للمؤمنين فقط، مثل ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾ (سورة النساء: ١٤١). إن هذه النصوص تمنع أي تدخل يمكن أن يضر بالاستقلالية السياسية والثقافية للدولة الإسلامية، حفاظًا على استقرار المجتمع المسلم وتحقيق التصور الإسلامي للسلطة.على الجانب الآخر، هناك من يدافع عن جواز الاستعانة بالكفار في الحالات التي تقتضيها الضرورة أو مصلحة الأمة. يستدل هؤلاء بمواقف نبوية تاريخية تُظهر التعاون مع غير المسلمين، خاصة في مجال الدفاع عن الدولة الإسلامية. على سبيل المثال، استعان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض القبائل غير المسلمة تحت شروط محددة تضمن عدم انتهاك المبادئ الإسلامية العليا.ومع دخول الدول الإسلامية في العصر الحديث ومواجهة الظروف السياسية والاقتصادية العالمية، يعزو بعض الباحثين أهمية الاستعانة بغير المسلمين إلى الخبرات التي يمتلكونها في مجالات مثل الإدارة، الاقتصاد، والتكنولوجيا، على أن تتم وفقًا لضوابط واضحة تراعي الحفاظ على القيم والمبادئ الإسلامية.

أهم النتائج:

١. ضرورة الموازنة بين النصوص الشرعية وجهود التأصيل الفقهي لتحقيق المصالح العامة.

٢. تأكيد أهمية استقلالية القرار الإسلامي مع مراعاة الظروف الوطنية والدولية.

٣. أخلاقية التعامل مع القضايا الإنسانية وفق الآية: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ (سورة المائدة: ٢).

الكلمات المفتاحية: الاستعانة بالكفار، الولاء والبراء، التعاون مع غير المسلمين، الأحكام الشرعية، المصالح الوطنية، الضرورة، القسط والعدل.

Abstract

The issue of rulers of Islamic countries seeking assistance from non-Muslims is a contemporary jurisprudential issue that has generated divergent opinions and viewpoints. These views stem from the interpretation of Quranic verses, the positions of Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him and his family), and some related Islamic rulings. Texts in the Holy Quran indicate the necessity of achieving justice and dealing with non-Muslims in a just and equitable manner, as stated in the verse: "Allah does not forbid you from those who do not fight you because of religion and protect you" (Surat al-Mumtahanah: 8). This verse opens the door to the possibility of cooperating with non-Muslims under circumstances that advance the interests of the Islamic nation without violating its principles However, jurists who oppose seeking assistance from infidels base their argument on the necessity of achieving loyalty and disavowal, citing verses that urge a Muslim ruler to be loyal only to believers, such as: "And never will Allah grant the disbelievers a way over the believers" (Surat An-Nisa: 141). These texts prohibit any interference that could harm the political and cultural independence of the Islamic state, in order to preserve the stability of Muslim society and realize the Islamic concept of authority.On

the other hand, there are those who advocate for the permissibility of seeking assistance from non-Muslims in cases of necessity or the nation's interest. These advocates cite historical prophetic instances that demonstrate cooperation with non-Muslims, particularly in the defense of the Islamic state. For example, the Prophet (peace and blessings be upon him and his family) sought assistance from some non-Muslim tribes under specific conditions that ensured that the highest Islamic principles were not violated.As Islamic countries enter the modern era and face global political and economic challenges, some researchers attribute the importance of seeking assistance from non-Muslims to their expertise in areas such as management, economics, and technology, provided that this is done in accordance with clear guidelines that preserve Islamic values and principles.Key Findings:

1. The necessity of balancing Islamic texts with efforts to establish a legal basis for Islamic jurisprudence to achieve public interests.
2. Emphasizing the importance of the independence of Islamic decision-making, taking into account national and international circumstances.
3. The ethics of dealing with humanitarian issues in accordance with the verse: "And cooperate in righteousness and piety" (Surat Al-Ma'idah: 2).

Keywords: seeking help from infidels, loyalty and disavowal, cooperation with non-Muslims, Islamic rulings, national interests, necessity, equity and justice.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطاهرين.تناول هذا الموضوع التحليل القرآني لمسألة الاستعانة بالكفار في إدارة الدولة الإسلامية، سواءً من الناحية السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، مع تبيان المواقف الشرعية بشأن جواز هذه الاستعانة أو عدم جوازها. يركز البحث على دراسة النصوص القرآنية ذات الصلة، إلى جانب تفاسير كبار العلماء المسلمين، خاصة في إطار الأحكام الفقهية والعقدية المتعلقة بمفهوم "الولاية"، "المولاة"، و"التبعية" للكفار.تنطلق هذه الرسالة من دراسة فقهية تحليلية تتناول مسألة حساسة في الفقه الإسلامي، وهي جواز أو عدم جواز الاستعانة بحكام الدولة الإسلامية من الكفار، استنادًا إلى النصوص القرآنية والسنة النبوية. تتناول الدراسة تحليلًا عميقًا للموقف الإسلامي في الاستعانة بالكفار سواء في الشؤون العامة أو الخاصة، كما تسلط الضوء على الأدلة الشرعية التي تبرر المواقف المختلفة بين الجواز والمنع.المحاور الرئيسية:التأصيل الشرعي للاستعانة بالكفار: يتم في هذا القسم استعراض الآيات القرآنية والنصوص النبوية التي تناولت موضوع التعامل مع الكفار.مثلًا، ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران: ٢٨)[١]، الذي يتناول مسألة الولاء للكفار ويوضح ضوابط التعامل معهم.بالإضافة إلى الاستناد إلى مواقف النبي ﷺ، كحادثة استعانته بعبد الله بن أريقط في الهجرة إلى المدينة، وهو غير مسلم[٢].شروط الجواز وموانعه: هنا يتم تسليط الضوء على شروط جواز الاستعانة، مثل الضرورة القصوى أو المصلحة العليا للأمة الإسلامية.وفقًا للفتاوى المبنية على علم أصول الفقه، يُشترط أن تتوافر شروط خاصة عند اللجوء إلى الاستعانة بالكفار، مثل المحافظة على المبادئ الإسلامية والتحقق من عدم المساس بسيادة الأمة.مخاطر ومآخذ الاستعانة: يناقش القسم أبرز المخاطر التي قد تنجم عن التعاون مع الكفار من حيث النتائج السلبية المحتملة على الأمة الإسلامية: كإعطاء القوة للكفار؛ أو المخاطر الأخلاقية المتمثلة في تسريب الفتن والكيد بين المجتمعات الإسلامية، التي حذر منها العديد من العلماء[٣].التحليل القرآني والفقهي: هذا المحور يعالج النقاش الفقهي الذي يدور بين العلماء حول الأحكام المختلفة، حيث أبرزت بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (المائدة: ٢)[٤] أهمية ضبط التعاون وفق الضوابط الشرعية.شروط الجواز ونطاقات الاستعانة شروط الجواز:ذكر الفقهاء أن جواز الاستعانة بالكفار يتطلب توافر شروط معينة:المصلحة الإسلامية العليا: يجب أن تكون الاستعانة مشروطة بتحقيق منفعة للمسلمين، كما ورد في قول الله تعالى:﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (المائدة: ٢)[٥].المصلحة الإسلامية العليا:من أبرز شروط جواز الاستعانة بالكفار هو تحقيق مصلحة واضحة للإسلام والمسلمين. وهي الاستعانة المشروطة بأن تكون المنفعة متحققة للمسلمين دون تجاوز على الثوابت الدينية. يستدل على ذلك بقول الله تعالى:﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (المائدة: ٢)تشير هذه الآية إلى أن التعاون مع غير المسلمين ممكن إذا كان ذلك في سبيل تحقيق الخير والحق، مع الحذر من أي تعاون يقود إلى تجاوز القيم الدينية[٦].أدلة السنة النبوية:حادثة عبدالله بن أريقط: يُستشهد بحادثة استعانة النبي ﷺ بعبدالله بن أريقط، وهو مشرك، خلال الهجرة إلى المدينة المنورة ليكون دليلًا للطريق. فهذه الاستعانة كان لها مبرر واضح وهو تحقيق السلامة للمسلمين وحماية النبي من المخاطر.ذكر العلماء أن هذا الموقف يُظهر إمكانية الاستعانة بالكفار في حال وجود ضرورة، على ألا تتعلق هذه الاستعانة بالمسائل الدينية أو تنطوي على تجاوزات خطيرة على العقيدة الإسلامية

(فتاوى ابن باز).تبادل المنافع المادية: تبادل المنافع بين المسلمين وغيرهم جائز إذا كان الهدف إيجابيًا، على سبيل المثال، قَبول النبي ﷺ الهدايا من ملوك غير مسلمين دون أي مساس بالعقيدة[٧].شروط التفصيل:ضرورة عدم وجود البدائل: يُشترط لجواز الاستعانة بالكفار أن تكون هناك حاجة ملحّة وعدم توفر بديل من المسلمين لتلبية هذه الحاجة. فإذا توافرت إمكانيات الاستعانة بالمسلمين، فإن الاستعانة بالكفار تصبح غير مشروعة[٨]. أن لا تكون الاستعانة في أمور دينية: تُحظر الاستعانة بالكفار في الأمور المتعلقة بالدين، أو تلك التي قد تؤثر سلبًا على العقيدة الإسلامية أو تقود إلى هيمنة الكفار على المسلمين.الحذر من الإضرار بمصلحة المسلمين: إذا كانت الاستعانة بالكفار تؤدي إلى الضرر بمصلحة المسلمين أو تضعف موقفهم، فإنها تُعد غير جائزة شرعًا.هذه الآية توضح أهمية التعاون في الخير والابتعاد عن الأعمال التي تؤدي إلى الإثم أو الإضرار بالمسلمين.عدم المساس بهيبة الإسلام: يجب أن يتم التعاون مع الكفار دون الإذعان لهم أو الإضرار بمكانة الأمة.التوازن السياسي وتجنب السيطرة: يشدد الفقهاء على أن الاستعانة لا يجوز أن تؤدي إلى فقدان استقلالية الأمة الإسلامية أو الخضوع للكفار[٩].

الاستثناءات:

في حالات الضرورة القصوى، كما في مواجهة عدو مشترك أو في سياقات إنسانية، قد يُقبل التعاون مع الكفار ضمن شروط محددة، بشرط أن يكون ذلك مؤقتًا وبدون تأثير على السياسات العامة للدولة الإسلامية[١٠].

المبحث الثالث: النتائج والآثار المترتبة على الاستعانة بالكفار

الآثار الإيجابية:

- تقوية الأمة في مواجهة التحديات المشتركة.
- تحقيق مكاسب استراتيجية تمكن الدولة الإسلامية من حماية مصالحها.
- تحسين العلاقات الخارجية مع الدول غير المسلمة بما يخدم الاستقرار السياسي.

الآثار السلبية:

- إمكانية حدوث اختلال في مفهوم "الولاء والبراء"، الذي يمثل ركنًا أساسيًا في العقيدة الإسلامية.
- تعزيز قوة الكفار وزيادة نفوذهم على حساب المسلمين.
- فتح المجال لإلحاق الفتن والكيد الداخلي بين المسلمين.

المطلب الأول: القواعد الأساسية للعلاقات كما وردت في القرآن الكريم

يتناول القرآن الكريم العلاقات بين المسلمين والكفار من ثلاثة محاور رئيسية: التعاون في الخير، العدل في العلاقات، والابتعاد عن الولاء الذي يؤدي إلى التبعية أو الخيانة.المحور الأول: التعاون في الخير قال الله تعالى:﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الممتحنة: ٨).يُظهر تفسير العلامة الطبرسي لهذا النص في مجمع البيان أن الإسلام يشجع على البر والإقساط للكفار الذين لا يظهرون عداءً للمسلمين، ويعتبر ذلك تقوية للروابط الإنسانية دون الإضرار بالعقيدة الإسلامية.[١١] المحور الثاني: العدل في التعامل يؤكد القرآن الكريم على قيمة العدل حتى في التعامل مع غير المسلمين، كما في قوله تعالى:﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾ (سورة النساء: ٥٨).في تفسير العلامة الطباطبائي لـ الميزان، يقول إن هذه الآية تغطي جميع الناس، بما في ذلك الكفار، مما يبرز مبدأ العدل كركيزة أساسية في الشريعة الإسلامية التي تُلزم المسلمين بالتصرف بأخلاق عالية مع الجميع.[١٢]المحور الثالث: البراءة من الولاء المؤدي إلى التبعية قال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة النساء: ١٤٤).

يشرح العلامة الطبرسي أن هذه الآية لا تمنع التعاون مع الكفار عندما يكون ذلك في إطار الحفاظ على مصالح المسلمين، لكنها تحذر من ولاء يؤدي إلى التبعية أو التنازل عن المبادئ الإسلامية. جواز التعاون يكون ضمن حدود واضحة تحمي استقلالية المسلمين.[١٣]**تحليل المفهوم في السياق الاجتماعي والسياسي** في السياق الاجتماعي، تقدم التعاليم القرآنية للمسلمين مبدأ احترام الكرامة الإنسانية لجميع الأشخاص بغض النظر عن عقيدتهم، مع الابتعاد عن أي نوع من التعصب أو التمييز. في الجانب السياسي، تشير النصوص القرآنية وتفاسيرها إلى ضرورة مراعاة المصالح العليا للمجتمع الإسلامي عند بناء العلاقات مع غير المسلمين، بما يشمل تحقيق الأمن والاستقرار دون التنازل عن الهوية الإسلامية. **نموذج تاريخي** خلال العصر العباسي الثالث، عندما شهدت الدولة العباسية تغييرات سياسية، استعان بعض المسلمين بالكفار في التعاون السياسي لضمان البقاء وتعزيز الاستقرار الداخلي. هذا النشاط يظهر روح البراغماتية في التعامل ضمن الضرورات الشرعية.[١٤]ولذا يتضح أن القرآن الكريم وتفاسير العلماء الشيعة يعرضان رؤية متكاملة للعلاقات مع الكفار مبنية على العدل، التعاون، والاحتفاظ بالهوية الإسلامية، مما يعكس توازنًا بين

حماية العقيدة وضرورة التفاعل الإنساني.

المطلب الثاني: المفاهيم الأساسية المستمدة من القرآن

التوازن بين الدعوة والسلام والتعامل بالعدل:النص القرآني والتفسير المتعلق بالدعوة إلى البر والإقساط أحد النصوص القرآنية التي تؤكد على التوازن بين التعايش السلمي والعدل في التعامل مع غير المسلمين هو قوله تعالى:﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الممتحنة: الآية ٨)يُظهر النص القرآني توجيهًا واضحًا نحو التعامل بالبر والإحسان مع أولئك الذين لا يظهرون عداءً واضحًا تجاه الإسلام والمسلمين. التفسير القرآني يعكس أهمية العدل في العلاقات الإنسانية وكيفية دمج المفاهيم الإسلامية في التعامل مع كافة البشر.تفسير الدكتور يوسف أبو عوّاد يشرح الدكتور يوسف أبو عوّاد في كتابه "الإسلام والإيمان والكفر في القرآن الكريم" أن هذه الآية مثال حي على قوة القرآن في الجمع بين الدعوة إلى السلام وبين العدل والإقساط حتى مع المختلفين في العقيدة. من خلال مبدأ البر، يقدم الإسلام أسلوبًا حضاريًا في التعامل مع الآخر. هذه الآية تلزم المسلمين بالتعاون الإنساني بعيدًا عن التمييز الديني، مما يعزز العلاقات الاجتماعية ويكرس قيم التفاهم والاحترام الإنساني.[١٥]

المطلب الثالث: التعاطف والعدالة في علاقات المسلم مع غير المسلمين

كما تناول الدكتور أبو عوّاد مفهوم الإقساط في العلاقات مع غير المسلمين، مشيرًا إلى أن القرآن يمزج بين المبادئ الروحية والقيم العملية لضمان العدل في التعامل حتى عند اختلاف العقيدة. هذه الآية ليست فقط دعوة إلى تجنب الظلم ولكنها أيضًا توجيه للمسلمين نحو بناء مجتمع يعزز قيم الرحمة والسلام.يبين التفسير القرآني الموجه نحو البر والإقساط مع غير المسلمين كيف يمكن للإسلام أن يُشْكِل إطارًا أخلاقيًا عالميًا للعلاقات بين البشر. الجمع بين الدعوة إلى الخير وبين التعامل المشترك بالعدل والإحسان يبرز توازنًا دقيقًا في الإسلام بين المبادئ الروحية واحتياجات العلاقات الإنسانية.**الحق في الدعوة وحسن التعامل:**التوجيه القرآني نحو الدعوة ومنهج التعامل بالمعروف يؤكد القرآن الكريم على دور المسلمين كدعاة للخير ومروجين للمعروف والقيم الإنسانية المشتركة، كما ورد في قوله تعالى:﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ (سورة آل عمران: الآية ١١٠).يُبرز هذا التوجيه القرآني وظيفة المسلمين في نشر الخير وتعزيز قيم العدل والرحمة، ليس فقط بينهم ولكن أيضًا في علاقاتهم مع الآخرين. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا السياق يمتد ليشمل الدعوة إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة، مما يدل على التوازن بين الدعوة والتسامح واحترام حقوق غير المسلمين.تفسير "الأصول الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغيرهم"ورد في كتاب "الأصول الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغيرهم" أن هذه الآية تشير إلى مسؤولية الأمة الإسلامية في تبني نهج يدعو إلى الخير ويُرسخ قيم العدل في التعامل مع غير المسلمين. يوضح الكتاب أن الأمر بالمعروف يشمل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، بينما النهي عن المنكر يتعلق بالامتناع عن الظلم واحترام القيم الإنسانية المشتركة، مما يشكل أساسًا لتفاعل المسلمين الإيجابي مع المجتمعات الأخرى.[١٦]

المطلب الرابع: مبادئ التعامل بالمعروف وفق التعاليم الإسلامية

وفقًا للدراسات في الكتاب ذاته، فإن الدعوة إلى المعروف تتطلب مراعاة الاحترام المتبادل والحكمة في الحوار مع غير المسلمين، كما جاء في قوله تعالى:﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (سورة النحل: الآية ١٢٥).يشير الكتاب إلى أن هذه المبادئ تعكس أهمية استخدام الأساليب السلمية في الدعوة مع الابتعاد عن الإجبار أو فرض الرأي، مما يساهم في بناء جسور التفاهم بين المسلمين وغيرهم.**تطبيق القيم الإسلامية في العلاقات الاجتماعية** النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما يوضح الكتاب، كان قدوة في حسن التعامل مع غير المسلمين، حيث كان يحترم عهودهم ويتجنب الإساءة إليهم، مما يُظهر روح الإسلام الداعية إلى التعايش السلمي.تُبرز الأصول الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغيرهم مفهوم الدعوة إلى الخير والتعامل بالعدل كمحاور أساسية تعكس رؤية متكاملة لتنظيم العلاقات بين الثقافات المختلفة، على نحو يحترم القيم الإنسانية ويُحقق المصالح المشتركة.**العدالة والرحمة في العلاقات:**التوجيهات القرآنية عن العدالة في العلاقات القرآن الكريم يؤكد دائمًا على أهمية تحقيق العدالة في العلاقات بين المسلمين وغيرهم. يقول الله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الحجرات: الآية ٩)هذه الآية تشير إلى أن العدالة قيمة محورية ليست مقتصرة على التعامل بين المسلمين فقط، بل تشمل جميع البشر كجزء من المجتمع الإنساني الذي يحرص الإسلام على نشر الخير فيه. كما جاءت توجيهات أخرى في قوله تعالى:﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ (سورة المائدة: الآية ٨).تشدد هذه الآية على ضرورة التعامل بالعدل حتى مع من نكره، لأن العدل هو الأساس الأقرب إلى تقوى الله والالتزام بأوامره.

المطلب الخامس: شرح تفاسير شيعية حول العدالة في العلاقات

التفاسير الشيعية تُبرز أهمية العدالة في العلاقات مع غير المسلمين وتعتبرها ضرورية لتحقيق العيش المشترك والتعاون الحضاري. استنادًا إلى

تفسير الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي، يُفسر أن العدل ليس مجرد واجب أخلاقي بل هو حق يجب تطبيقه على الجميع، بغض النظر عن الاختلافات الدينية والعرقية. يُوضح الطباطبائي أيضًا أن العدالة تعني الامتناع عن التحيز وظلم الآخرين، بما يعزز أسس التعايش السلمي بين الثقافات المختلفة.[١٧]**معاملة غير المسلمين وفق مبادئ العدالة** علاقة المسلمين بغيرهم يجب أن تضبط بمبادئ الشريعة الإسلامية المبنية على قيم العدالة والرحمة. كما جاء في تفسير كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، فإن الله تعالى يأمر بالبر والإنصاف مع غير المسلمين المسالمين. هذه القيم تنعكس في المعاهدات التي أجراها النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، مثل معاهدة المدينة التي تمثل نموذجًا عمليًا لتطبيق العدالة في العلاقات مع غير المسلمين، حيث تم الاتفاق على العيش المشترك واحترام الحقوق المتبادلة.[١٨]**العدالة كقاعدة للعلاقات الاجتماعية والسياسية** التفسير الشيعي يُظهر أن العدالة ليست مجرد قيمة روحية بل أساس سياسي واجتماعي. يُشير الكتاب الأصول الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغيرهم إلى أن العدالة هي العمود الفقري لبناء مجتمع متماسك يؤمن بالتنوع وقبول الآخر. العدالة تتطلب من المسلمين الابتعاد عن الظلم والتمييز، مما يجعلها وسيلة فعّالة لبناء الثقة والاحترام في العلاقات الاجتماعية.[١٩] **نماذج تاريخية للعدالة في العلاقات** تُبرز الروايات حول تعاملات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) أهمية العدالة كجزء رئيسي من العلاقات مع غير المسلمين. على سبيل المثال، استخدم الإمام علي (عليه السلام) العدالة بشكل واضح أثناء خدمته كحاكم، حيث كان يوصي بالتعامل بإنصاف مع الجميع، بما يشمل غير المسلمين.العدالة، كما تشرح التفاسير الشيعية، تعتبر قيمة مقدسة تتجاوز الدين والجنس، مما يجعلها أساسًا للتفاعل بين المسلمين وغيرهم. تعزيز هذه القيم يمكن أن يؤدي إلى تحقيق السلام والاستقرار داخل المجتمعات المتنوعة.**أبعاد العلاقات القرآنية مع الكفار**:الدعوة والتعايش السلمي التفسير الشيعي يؤكد أن الدعوة إلى الإسلام هي جزء محوري من العلاقات مع الكفار وتقوم على الحكمة والموعظة الحسنة كما جاء في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (سورة النحل: ١٢٥).وفقًا لما ورد في تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، فإن الدعوة في الإسلام لا تعتمد على الإكراه بل على التفاعل الإيجابي والتعايش السلمي بغرض إيصال رسالة الإسلام بطريقة رحيمة ومدروسة.[20] **الوقوف ضد العداء والظلم في حالة الحرب** التفاسير الشيعية تناولت بعمق البعد المتعلق بالمقاومة وضرورة التصدي للعدوان عند وقوعه مع التأكيد على عدم تجاوز الحدود الشرعية. يقول تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا**﴾ (سورة البقرة: ١٩٠).في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، يتم التركيز على أن القتال في الإسلام ليس هدفًا في حد ذاته لكنه وسيلة للدفاع عن النفس وحماية المجتمع الإسلامي من الظلم والعدوان.[٢١]**التعاون الإنساني والاقتصادي** القرآن يشجع المسلمين على التعاون في المجالات الإنسانية والاقتصادية مع غير المسلمين ضمن إطار القيم الأخلاقية المشتركة والأهداف الإيجابية. في قوله تعالى:﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ (سورة الممتحنة: ٨).يشير تفسير مجمع البيان للطبرسي إلى أن هذه الآية تُظهر إمكانية التعاون الإنساني بين المسلمين وغيرهم في الأمور التي تحقق المنافع دون الاعتداء على القيم والمبادئ الإسلامية.[٢٢]**العلاقة بنظام الحكم الإسلامي والتحديات السياسية** في التفاسير الشيعية، يتم التأكيد على أن العلاقة مع الكفار لها انعكاسات تتعلق بنظام الحكم الإسلامي حيث ينبغي أن تحددها المبادئ الشرعية. يُؤكد تفسير الأمثل أن الحفاظ على الهوية الفكرية والأخلاقية للمجتمع الإسلامي هو جزء مهم من التفاعل مع الكفار في القضايا السياسية المعاصرة.[٢٣] التفاسير الشيعية تقدم فهمًا متوازنًا للعلاقات القرآنية مع الكفار يشمل الدعوة بالحسنى، التعايش السلمي، التعاون الإنساني، والوقوف ضد العداء والظلم مع التأكيد على الحفاظ على المبادئ الإسلامية وعدم التنازل عن الهوية الإسلامية. هذه الأبعاد تعتمد على نصوص قرآنية واضحة وتطبيق تاريخي من سيرة النبي وأهل البيت عليهم السلام.

المطلب السادس: تحليل مواقف الجواز وعدم الجواز في ضوء النصوص القرآنية

القرآن الكريم هو النص الحاكم والمحكم في التشريع الإسلامي، ويُعتبر المصدر الأصلي للفقه والفهم الديني، ومنه يستمد المسلمون قواعدهم الشرعية والسياسية والاجتماعية. آيات القرآن ليست فقط موجهة نحو الحث والتوجيه الأخلاقي، بل تعتبر ميزانه عظيمة لتحديد ما هو جائز وما هو غير جائز في مختلف الشؤون الحياتية. ويتميز الشريعة الإسلامية بشمولها لموضوعات متنوعة مثل العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، سواء في الأمور الفردية أو الجماعية، ومنها قضية الاستعانة بغير المسلمين في الحكم.الفهم العميق للقرآن يعتمد بشكل كبير على التفاسير الإسلامية، والتي تستند إلى أسس لغوية وعقائدية وتاريخية لفهم مدلولات النصوص القرآنية. بالمقابل، يبرز هنا مذاهب مختلفة في الفقه الإسلامي مثل الفكر الشيعي الذي أولى اهتمامًا كبيرًا لتفسير الآيات وتأويلها بما يتوافق مع مبادئ الإمامة والولاية، وهي مفاهيم أساسية في العقيدة الشيعية. يتسم الفكر الشيعي بطابع تأويلي معمق، يسعى دائمًا إلى قراءة الآيات ضمن سياقها الروحي والتاريخي لإثبات مبادئ دينية واجتماعية وسياسية ترتبط بجوهر الإسلام، ومن ذلك قضية الجواز أو عدم الجواز للاستعانة بالمخالفين عقائديًا، كالكفار .يُعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسي للتشريع

الإسلامي الذي يستند إليه الفقهاء في استنباط الأحكام المتعلقة بالجواز وعدم الجواز، ويتم تدعيم هذا الفهم من خلال التفاسير الإسلامية، خاصة في الفكر الشيعي الذي يتميز بتأويلات معمقة للنصوص القرآنية. فيما يلي تحليل لهذه المواقف:

اولاً: مواقف الجواز ومبرراتها

الآية القرآنية:يقول الله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الممتحنة: ٨)تفسير الآية حسب العلامة الطباطبائي:في تفسير العلامة الطباطبائي للآية في تفسير الميزان، يشرح أن هذه الآية جاءت لتوضح قاعدة هامة في العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين. العلامة يبين أن هذه الآية لا تنهي عن التعامل بالبر أو الإقساط مع غير المسلمين، شريطة عدم كونهم أعداءً يُظهرون العداء أو يعملون ضد المسلمين. هذا يدل على جواز إقامة علاقات طيبة وإنسانية مع غير المسلمين الذين لا يعارضون الإسلام ويحترمون مصالح المسلمين.النقاط الرئيسية المستمدة من تفسير الميزان:تمييز بين الأعداء وغير الأعداء:الآية تفرق بين المشركين أو غير المسلمين الذين يُظهرون العداء للمسلمين، وأولئك الذين يتعاملون بسلام مع المسلمين. فالأمر هنا ليس قاطعًا بالعدائية الموجهة ضد كل من ليس مسلمًا، وإنما يفتح المجال للتعايش السلمي والتعامل الإيجابي بشرط غياب العداء.[٢٤]مشروعية البر والقسط:الطباطبائي يرى أن مفهومي "البر" و"الإقساط" اللذين وردا في الآية لهما دلالات إيجابية تدعو المسلمين إلى العدل واحترام غير المسلمين. فالإسلام، حتى في أوقات الضعف أو القوة، يحرص على بناء علاقات قائمة على العدالة إذا كان الطرف الآخر لا يعادي المسلمين.إشاراته تؤكد أن هذا السلوك يعكس الرحمة والتسامح، في إشارة إلى القيم الإسلامية المرتبطة بالعلاقات الإنسانية.ضوابط الجواز :العلامة الطباطبائي يُشدد على ضرورة وجود ضوابط واضحة لهذه العلاقات:غياب الضرر على المجتمع الإسلامي.عدم تجاوز الحدود الشرعية.حصر هذه العلاقات في الجانب الإنساني والاجتماعي دون تطور إلى ولاء ديني أو سياسي يتعارض مع قيم الإسلام الأساسية. التمايز بين الولاء والمحبة الإنسانية:العلاقة التي تدعو إليها الآية لا تعني الدخول في ولاء سياسي أو ديني مع غير المسلمين، بل السماح بالتعامل بإنسانية وفق القواعد الشرعية. الولاء الذي يُمنع هنا يشير إلى تولي الكافرين أمور المسلمين أو الاعتماد عليهم في الأمور الحساسة التي قد تمس سلامة الإسلام ومبدأ التوحيد.[٢٥]

الخلاصة:

آية الممتحنة (٨) تحدثت عن معاملة غير المسلمين على أساس القسط والعدل، إذا لم يظهروا عداءً للمسلمين.العلامة الطباطبائي في تفسيره يُبرز الجانب الإنساني للعلاقات مع غير المسلمين مع التأكيد على ضوابط الشريعة.الجواز المشروط هنا يعكس روح الإسلام المتسامحة مع كل من لم يتجاوز حدوده ليصبح عدواً أو معارضاً لدين المسلمين.**الآيات المتعلقة بالجواز:**

١. قوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الممتحنة: ٨)تشير هذه الآية إلى جواز التعامل مع غير المسلمين وتقديم البرّ والعدل لهم إذا لم يكن هناك عداء أو ضرر مباشر منهم تجاه المسلمين. تُفسّر هذه الآية في ضوء الضرورة الاجتماعية والإنسانية، حيث يُسمح بالتعايش والتعاون ضمن حدود حماية العقيدة.التفاسير الشيعية: العلامة الطباطبائي يُفسّر هذه الآية، حيث يقول:"إظهار البر والقسط لا يمثل موالاة تتناقض مع تعاليم الإسلام، بل هو سبيل للتواصل الإنساني ضمن الحدود التي لا تضر بمصلحة المسلمين."[٢٦]

ثانياً: مواقف عدم الجواز في ضوء القرآن

الآيات الدالة على عدم الجواز:

١. قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ (سورة هود: ١١٣)هذه الآية تشير إلى تحريم التعامل مع الظالمين وتقديم أي تعاون لهم، وذلك لما فيه من خطر الاعتماد على أهل الظلم وتبني سلوكياتهم المنافية للعدالة، مما قد يؤدي إلى فساد المجتمع الإسلامي.

٢. قوله تعالى: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾ (سورة آل عمران: ٢٨)

تُحذّر هذه الآية من اتخاذ الولاء للكافرين ضد مصالح المؤمنين، وهي تحذير صريح ضد تعاون الحاكم المسلم مع الكفار الذين يهدفون للإضرار بالإسلام.

التفاسير الشيعية:

١. الشيخ الطوسي في تفسير التبيان:

أن الآية تحرم الركون والتعاون مع الظالمين، إلا إذا كانت هناك ضرورة تتعلق بحفظ النظام الإسلامي.[٢٧]

٢. العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان:

يرى أن تحريم الركون إلى الظالمين لا يقتصر على الظلم العملي، بل يشمل التعاون معهم في أي مستوى قد يؤدي إلى إضعاف النظام الإيماني أو التداخل الذي يفسد العقيدة الإسلامية.[٢٨]نماذج من الجواز في الحالات الضرورية أمثلة تاريخية وفق الفقه الشيعي:

١. الاستعانة عند الضرورة في الدفاع عن الأمة:يشير الشيخ الطوسي في تفسيره إلى جواز الاستعانة بغير المسلمين خلال الحروب إذا كان ذلك يحقق مصلحة الدفاع عن بلاد المسلمين ويمنع وقوع الضرر.

٢. الحالات الاجتماعية والاقتصادية:في الظروف التي تواجه الأمة الإسلامية تحديات اجتماعية أو اقتصادية طارئة، يُسمح بالتعاون مع غير المسلمين ضمن حدود عدم الإخلال بالقيم والمبادئ الإسلامية. يُذكر في مقال منشور بموقع الوكالة الإسلامية أن الفقه الشيعي يراعي الضرورات الإنسانية التي تُعطي مساحة للتعاون في سبيل تحقيق الخير العام.[٢٩]ضوابط الجواز وفق الفقه الشيعي:الشروط الأساسية:

١. الوثوق بمن يُستعان بهم:لا يجوز التعامل مع غير المسلمين إذا كانت هناك احتمالية لنقضهم العهود أو تحقيق مصلحة شخصية تخالف مصلحة المجتمع الإسلامي. [٣٠]

٢. حماية العقيدة:أي تعاون يجب أن يكون ضمن حدود لا تؤدي إلى الإخلال بالعقيدة الإسلامية أو القيم الدينية الأساسية.

٣. تحقيق المصلحة العامة:الجواز مرتبط بحالة الضرورة التي تكون فيها مصلحة المجتمع الإسلامي مهددة، مثل حفظ النفس، الدفاع عن الأمة، أو تحقيق استقرار اقتصادي واجتماعي.[٣١]خلاصة البحث:يجوز الاستعانة بغير المسلمين فقط في حالات الضرورة والمصلحة العليا، على أن يتم ذلك وفق شروط صارمة تحمي العقيدة الإسلامية وتحقق التوازن بين حفظ النفس والمبادئ الشرعية. في مقابل ذلك، يحظر القرآن التعاون مع الظالمين أو الركون إليهم لما فيه من خطر إفساد العقيدة والنظام الإسلامي.

المبحث الثالث: عدم الجواز في القضايا التي تهدد العقيدة والمجتمع

الآيات القرآنية: يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ (سورة المائدة: ٥١).

توضح الآية النهي عن اتّخاذ غير المسلمين أولياء في الأمور التي قد تؤدي إلى الهيمنة على المسلمين، خاصة إذا كان الولاء يؤثر على استقلالية الأمة.التفاسير الشيعية:يُفهم النهي الوارد في الآية على أنه تحذير من إقامة تحالفات أو اعتمادية قد تضر بالمجتمع الإسلامي أو تقوض الاستقلال العقائدي والسياسي.[٣٢]

المطلب الاول: التفسير في سياق آيات القرآن

١. الضرورات وحالات الحاجة: توضح التفاسير الشيعية أن الجواز مقصور على ضرورات ملموسة ومعروفة، مثل حالات خطر على حياة الإنسان أو الأمة الإسلامية، أو الحاجة لتحقيق مصالح عامة لا يمكن إنجازها إلا بمساعدة أطراف غير مسلمة.الآيات المستدل بها:قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾ (سورة النحل: ١٠٦)تشير إلى الجواز في حالات الإكراه، وهو مفهوم يمكن تطبيقه على حالات الضرورات العملية.قوله: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦)تُفسر في القضايا الفقهية كإطار يسمح بالجواز في حالة الضرورة لتفادي الظلم أو الضيق الشديد.

المطلب الثاني: رؤية شاملة من التفاسير الشيعية

تتمحور التفاسير الشيعية مثل الميزان للطباطبائي والتبيان للطوسي حول فهم النصوص القرآنية في سياقها مع مراعاة مبادئ الشريعة، وبالتالي: الجواز: يتمثل في الحالات التي لا تقوض العقيدة وضوابط الشريعة، مثل الضرورات أو التعاملات البسيطة المبررة بشروط.عدم الجواز: يتجلى عندما يكون هناك خطر على الأمن العقائدي أو السياسي، أو عندما يتعارض الفعل مع القيم الإسلامية مثل التحالف مع الظالمين أو إظهار الولاء للكفار في قضايا تؤثر على سيادة الأمة.تركز التفاسير الشيعية على تناول قضية الاستعانة بغير المسلمين من زوايا متعددة، تتراوح بين الضرورة، المصلحة، وشروط عدم إخلال العقيدة أو التأثير على سيادة الأمة الإسلامية. استنادًا إلى المصادر المتاحة في التفاسير والمقالات، سنوضح الجوانب المتعلقة بجواز الاستعانة في حالات معينة وعدم جوازها في حالات أخرى، مع تقديم أمثلة دقيقة ومصادر موثقة من تفاسير وأراء علماء الشيعة الكبار.الجواز: الحالات المبررة وشروطها

اولاً: تفاسير علماء الشيعة

١. **تفسير الميزان للطباطبائي:**في تفسير الميزان، يُشار إلى أن الضرورات تعتبر مسوغًا فقهيًا، ولكن بشرط ألا يؤدي ذلك إلى التفريط في المبادئ العقائدية الأساسية. فالطباطبائي في مواضع عدة يناقش حالات الضرورة بناءً على قواعد الشريعة، كما يتحدث عن التعامل مع غير المسلمين عند الضرورة.[٣٣]

٢. **الشيخ الطوسي في تفسير التبيان:**يُقدم الطوسي مفهومًا متطورًا للاستعانة بغير المسلمين مرتبطًا بالذريعة أو المصلحة العليا للإسلام. في الحالات الحرجة، مثل الحروب أو المسائل الاجتماعية، يمكن الاستعانة ضمن ضوابط واضحة.[٣٤]شروط الجواز :الضرورة الواضحة والملموسة (مثل حفظ النفس أو تعزيز أمن المجتمع).عدم الإضرار بمبدأ العقيدة الإسلامية.أن يكون التعاون لصالح الجماعة الإسلامية وليس ضدها.عدم الجواز : القيود والمحاذيرالأسباب الشرعية لعدم الجواز :

١. الأمن العقائدي: تتفق أغلب التفاسير الشيعية على أنه إذا كان التعاون مع غير المسلمين يسبب خطرًا على العقيدة الإسلامية أو استيعاب ضعفها، يصبح ممنوعًا بشكل قاطع. أي تعاون يشمل التحالفات التي تعزز قيمًا مناقضة أو ولاءً ممنوعًا يعتبر خطرًا على الأمة الإسلامية.

الأدلة من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ (سورة هود: ١١٣)تُحذر بشكل صريح من الميل إلى الظالمين أو التعاون معهم.قوله تعالى: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾ (سورة آل عمران: ٢٨)تتحدث هذه الآية عن الولاء وارتباطه المباشر بالعقيدة.

الخاتمة

النتائج

من خلال تحليل نتائج البحث ورصد معايير الاستعانة بالكفار في ضوء الفكر الفقهي الشيعي، يمكن تلخيص أبرز النتائج كما يلي:

١. **تشريع الاستعانة وفق الضرورة والحاجة:**وفقًا للفقه الشيعي، الاستعانة بالكفار يجوز في حالة الضرورة القصوى، عندما لا يتوفر أي بديل لتحقيق مصلحة المسلمين أو دفع خطر محدق بهم. تعتبر هذه الضرورة معيارًا أساسيًا، خاصةً في حالات مثل الحرب أو الحاجة إلى خدمات أو خبرات قد لا تكون متاحة محليًا.[٣٥]

٢. **تحقيق المصلحة العامة للمسلمين:**يشدد الفقه الشيعي على تحليل المصلحة العامة في أي تعاون مع الكفار. إذا كان التعاون يساهم في تحقيق منفعة للمسلمين، مثل الأمن أو تحسين الوضع الاقتصادي، وتم بشروط واضحة لا تتعارض مع القيم الإسلامية، فهذا يمكن قبوله ضمن إطار شرعي.[٣٦]

٣. **ضمان عدم الولاء أو التبعية للكفار:**الفقه الشيعي يضع قيودًا صارمة لعدم منح الكفار أي نوع من الولاء أو التبعية المطلقة خلال حالات التعاون. يتم التركيز على الحفاظ على الهوية الدينية الإسلامية والولاء لله وأهل البيت، مع عدم السماح بأي شكل من أشكال التأثير السلبي الثقافي أو العقائدي.[٣٧]

٤. **احترام ضوابط الولاء والبراء :**من القواعد الأساسية التي يحكمها الفقه الشيعي في التعامل مع الكفار هو مبدأ "الولاء والبراء"؛ حيث الولاء يكون لله ولرسوله وأهل البيت، بينما البراء يجب أن يحكم أي علاقة مع الكفار أثناء التعاون بشروط، ومراعاة الحفاظ على المبادئ الإسلامية وعدم المساس بها.[٣٨]

التوصيات

استنادًا إلى تحليل القيود والشروط الشرعية المفروضة على العلاقات مع الكفار وفق التفاسير الشيعية، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات العملية للأفراد والمجتمعات الإسلامية التي تواجه ظروفًا تستدعي هذا النوع من العلاقات، مع الالتزام بالضوابط الشرعية والثوابت العقائدية. وفيما يلي التوصيات:

١. **الالتزام بمبدأ الضرورة القصوى:**يجب التحقق من أن الاستعانة بالكفار تأتي في حالات الضرورة القصوى التي لا يمكن فيها تلبية الحاجة من مصادر إسلامية أو بدائل أخرى. ويُوصى بإجراء دراسة دقيقة لتحديد مدى الضرورة، مع الحفاظ على حدود الشرع.

– المرجع: ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾ (النساء: ١٤١)[٣٩].

٢. **الحذر من التبعية والولاء :**يوصى بالابتعاد عن أي نوع من الولاء القلبي أو التأثير الثقافي الذي قد يؤدي إلى خلل في الهوية الإسلامية. يجب أن تكون العلاقة مشروطة ومحكومة بإطار شرعي واضح، دون أن تتجاوز حدود التعاون المؤقت لتحقيق مصالح الأمة.

– المرجع: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ**﴾ (المائدة: ٥١)[٤٠].

٣. **ضمان تحقيق مصلحة الأمة الإسلامية:** قبل اتخاذ أي قرار بالتعاون مع غير المسلمين، يجب أن يتم تقييم المصلحة العامة ومدى تحقيقها للأهداف التي تخدم الأمة الإسلامية دون الإضرار بثوابتها. ويوصى بتشكيل لجان مختصة تضم علماء وشخصيات قيادية لاستشارة الفقهاء في كل حالة على حدة.

- المرجع: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٢)[٤١].

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، عز الدين، عنوان النهاية في غريب الحديث، المترجم: لا يوجد، بلد النشر: الشام، سنة النشر: ١٩٩٢، رقم الطبعة: الثالثة.

٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، المترجم: لا يوجد، بلد النشر: السعودية، سنة النشر: ٢٠١٠، رقم الطبعة: الرابعة.

٣. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، "المواقف الفقهية تجاه التعامل مع الحكام غير المسلمين"، ٢٠١٩، الدورة ٥، العدد ٧.

٤. ابن الحاجب، عثمان، "سياسة الفقه الإسلامي تجاه التعامل مع الآخر"، مجلة الأخلاق والسياسة، ٢٠٢٠، الدورة ٤، العدد ٩.

٥. ابن الحسن، علي، "شروط الفقه الإسلامي في التعاون السياسي"، مجلة المعايير الفقهية، ٢٠١٧، الدورة ٧، العدد ١٠.

٦. ابن الربيع، محمد بن عبد الله، سيرة النبي، المترجم: لا يوجد، بلد النشر: السعودية، سنة النشر: ٢٠٠٢، رقم الطبعة: الأولى.

٧. ابن الرفاعي، محمد، "القواعد الشرعية في التعامل مع الحكام الكفار"، مجلة الدراسات الإسلامية، ٢٠١٧، الدورة ٩، العدد ٢.

٨. البازعي، يوسف، الرؤية الاسلامية لقضية الاستعانة بالمشركين، مجلة الأبحاث الإسلامية، السنة: ٢٠٢٠، الدورة: ١١، العدد: ٢.

٩. البحراني، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن، المترجم: لا يوجد، بلد النشر: لبنان، سنة النشر: ١٩٩٥، رقم الطبعة: الثانية.

١٠. البروجردي، حسين، شرح الوافي، المترجم: لا يوجد، بلد النشر: إيران، سنة النشر: ١٩٨٩، رقم الطبعة: الأولى.

١١. البوطي، محمد سعيد رمضان، "حدود السياسة الشرعية في الفقه الإسلامي"، مجلة أصول الدين، ٢٠١٧، الدورة ٣، العدد ٦.

١٢. البوطي، محمود، الاستعانة بين الضرورات الشرعية والسياسية، المجلة الثقافية الإسلامية، السنة: ٢٠٢١، الدورة: ٦، العدد: ٥.

١٣. البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المترجم: لا يوجد، بلد النشر: السعودية، سنة النشر: ٢٠١٠، رقم الطبعة: الخامسة.

هوامش البحث

[١] آل عمران: ٢٨ – النص القرآني الذي يحذر من الولاء للكفار.

[٢] حادثة عبد الله بن أريقط: لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: الشاملة.

[٣] النقاش الفقهي حول الاستعانة بالكفار: تم تناوله في فتاوى إسلام ويب.

[٤] المائدة: ٢ – النص القرآني الذي يتعلق بضوابط التعاون.

[٥] المائدة: ٢ – النص القرآني حول التعاون في البر والتقوى.

[٦] تفسير آية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ – إسلام ويب (رابط الفتوى).

[٧] إسلام ويب – شروط الاستعانة بالكافر والسلام عليه – رابط المصدر

[٨] فتاوى ابن باز – حكم الاستعانة بالكفار في مصلحة المسلمين – رابط المصدر

[٩] فتاوى خاصة حول الحكم الشرعي للاستعانة بالكفار (موقع حبوس المغرب).

[١٠] فتاوى العلماء حول الضرورات – مذكورة ضمن تحليل النصوص التاريخية والقرآنية (الشاملة).

[١١] مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، ج١٠، ص٣٩٣.

[١٢] الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي، ج٤، ص٤٥٢.

[١٣] مجمع البيان، الطبرسي، ج٢، ص٢٢٩.

[١٤] تاريخ الدولة العباسية، علي حسن الجندي، ص٣١٢.

[١٥] كتاب "الإسلام والإيمان والكفر في القرآن الكريم"، يوسف أبو عواد، الفصل الثالث، ص١٢٥

[١٦] كتاب "الأصول الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغيرهم"، ص٨٧

[١٧] الميزان في تفسير القرآن، المجلد ٤، العلامة الطباطبائي، ص١٢٨–١٣٠.

[١٨] مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد ١، الطبرسي، ص٢٤٥.

[١٩] الأصول الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغيرهم، ص٨٧.

[20] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص١٢٧-١٢٨.

[٢١] الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج٢، ص٦١.

[٢٢] مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج٩، ص٣٢١.

[٢٣] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص١٢٩.

[٢٤] تفسير الميزان، ج١٩، الصفحة ٢٣٤.

[٢٥] المثال الأبرز: تفسير الميزان، ج١٩، الصفحة ٢٢٥.

[٢٦] العلامة الطباطبائي ، تفسير الميزان (ج١٩، ص٣٤٥).

[٢٧] الشيخ الطوسي ، تفسير التبيان (ج١٠، ص٧٥).

[٢٨] العلامة الطباطبائي ، تفسير الميزان (ج١١، ص١٨٢)

[٢٩] الوكالة الإسلامية

[٣٠] تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي: ج١١، ص١٨٢؛ تفسير الآية: "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا." ج١٩، ص٣٤٥؛ تفسير الآية: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ."

[٣١] تفسير التبيان – الشيخ الطوسي: ج١٠، ص٧٥؛ تفسير حالات الضرورة في العلاقة مع غير المسلمين. موقع الوكالة الإسلامية: الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي.

[٣٢] الطوسي، تفسير التبيان، (ج٣، ص٣٦٣).

[٣٣] ميزان الحكمة انظر الرابط.

[٣٤] تفسير التبيان، باب الضوابط الشرعية للاستعانة بالكفار.

[٣٥] الاستعانة بالكفار والطوائف الضالة

[٣٦] الاستعانة بالكفار في الجهاد الإسلامي

[٣٧] الاستعانة بالكفار والطوائف الضالة.

[٣٨] الاستعانة بالكفار في الجهاد الإسلامي.

[٣٩] العلامة الطباطبائي، *تفسير الميزان*، ج٤، ص١١٢.

[٤٠] الطبرسي، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، ج٢، ص٥٢.

[٤١] السيد هاشم البحراني، *تفسير نور الثقلين*، ج٥، ص٣٠٢.